ويلمح قدامة – في النسيب – أهمية المتلقي في مشاركته للشاعر دلاليا وعاطفيا ؛ ذلك أن المحسن من الشعراء فيه ، هو الذي يصف من أحوال ما يجده ما يعلم به كل ذي وَجْد حاضر أو دائر أنه يجده ، أو قد وجد مثله . فمن ذلك قول أبي صَخْر الهذلي ، فإنه يصف ما يشاركه فيه كل متعلِّق بمودة :

أ ما وَالَّذي أبْكى وأضْحَكَ وَالَّذي أماتَ وَأحْيا وَالَّذي أمْرُهُ الأمْرُ
لَقَدْ كُنْتُ آتيها وَفي النَّفْسِ هَجْرُها بَتاتًا لأُخْرى الدَّهْرِ ما طَلَعَ الفَجْرُ
فَما هُوَ إلا أنْ أراها فُجاءَةً فَأبْهَت لا عُرْفٌ لَدَيَّ وَلا نُكْرُ [1]

وطبيعة المعجم الشعري تظهر بجلاء في النسيب فتؤثِّر دلاليا في المعنى العام ، وذلك ما لاحظه ابن رشيق ، فالبحتري أرق الناس نسيبًا ، وأملحهم طريقة ، ولا سيما إن ذكر الطَّيْفَ ، وذلك هو النمط الذي شهر به [2].

أما طَرْد الخيال والمجاراة في المحبَّة فهو مذهبٌ شُهِرَ به طرفة ولبيد ، ثم جرير وجميل . وكان طرفة أول من طرقه ، ومن ذلك قوله :

فَقُلْ لِخَيالِ الحَنْظَلِيَّةِ يَنْقَلِب إلَيْها فَإنّي واصِلٌ حَبْلَ مَنْ وَصَل

وقال لبيد :

فَاقْطَعْ لبانة من تعرض وصله ولشر واصل خلة صرامها

وقال جرير :

طَرَقَتْكَ صائِدَةُ القُلوبِ وَلَيْسَ ذا وَقْتَ الزِّيارَةِ فَارْجِعي بِسَلام [3]

---

(١) قدامة : نقد الشعر ، ص ١٢٦ ، ١٢٧ .
(٢) ابن رشيق : العمدة ، ج ٢ ، ص ٩٥ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٠١ .